القسم العربي

(الكتاب الموعود بنشره)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم فى مسالكهم إلى يوم الدين .

أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الخلل والضعف جميع المسلمين وكان من سنة الله فى خلقه ان جعل لكل شيء سبباً فلا بد لهذا الخلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرية غير سر القدر المخفى عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم فى ذلك بعض الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء فى هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر مالاح لى فى حل هذا المشكل العظيم .

ثم بدا لى ان أسعى فى توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سراة الاسلام فى مهد الهداية أعنى (مكة) المكرمة فعقدت العزيمة متوكلا على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع فى موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطنى أحد مدن الفرات فى أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة والف وكلى ألسن تنشد :

دراك فمن يدنف لعمرى يدفن ... وما نافع نوح متى قيل قد فنى
دراك فإن الدين قد زال عزه ... وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فكان له أهل يوفون حقه ... بهدى وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بيتهم ... اما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلموا إلى (أم القرى) وتآمروا ... ولا تقنطوا من روح رب مهيمن
فان الذى شادته الاسياف قبلكم ... هو اليوم لايحتاج الا الألسن

فسلكت الطريق البحرى من اسكندرون معرجا على بيروت فدمشق ثم يافا فالقدس ثم جئت الإسكندرية فمصر ثم من السويس عمت الحديدة فصعدا إلى

البصرة ومنها رجعت إلى حائل إلى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة فوصلتها فى أوائل ذى القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قد سبقونى بموافاتها وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقى الا وقدم الباقون ماعدا الأديب البيروتى الذى حرمنا القدر ملاقاته لسبب انبأنا عنه فعذرناه .

وفى أثناء انتظارنا منتصف الشهر سعيت مع بعض الاخوان الوافدين فى تحرى ونجح اثنى عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم للجمعية وهم من مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجه سراى وتفليس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلى وكلكته وليفربول . ولما كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لى داراً فى حى منظرف فى مكة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داعستانى روسى لتكون مصونة من التعرض رعاية للاحتياط . وقد انعقد من منتصف الشهر إلى سلخه اثنا عشر اجتماعا غير اجتماع الوداع جرت فيها مذكرات مهمة صار اطلاعنا وتسجيلها بكمال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المعاوضات والمقررات غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيشار إليه .

﴿ الاجتماع الأول ﴾

يوم الاثنين خامس عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى اليوم المذكور انتظمت الجمعية لمرة الأولى واعضاؤها اثنان وعشرون فاضلا كلهم يحسنون العربية فبعد أن عرفت كلا منهم بباقى اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنين وعشرين قائمة كن مهيئات قبلا مطبوعات بمطبعة (الجلانين) التى استعرتها من تاجر هندى فى مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً فى نسخ القائمة مختصر تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية المخصوصة وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التى يحتاج الاخوان لاستعمالها

وأعضاء الجمعية هم السيد الفراتى ، الفاضل الشامى ، البليغ القدسى ، الكامل الاسكندرى ، العلامة المصرى ، المحدث اليمنى ، الحافظ البصرى ، العالم النجدى ، المحقق المدنى ، الاستاذ المكى ، الحكيم التونسى ، المرشد الفاسى ، السعيد الانكليزى ، المولى الرومى ، الرياضى الكردى ، المجتهد التبريزى . العارف التاتارى ، الخطيب القازانى ، المدقق التركى ، الفقيه الافغانى ، الصاحب الهندى ، الشيخ السندى ،

الإمام الصيني . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها مني من قبل وهي (لا نعبد الا الله) مسترعياً سمعهم وخاطبتهم بقولي : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والأمانة لاخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والأمانة) ومن كان لا يطيق العهد فليعتزلنا وما جال نظري فيهم الاوسارع الذي عن يميني إلى عقد العهد ثم الذي يليه ثم الذي يليه إلى آخرهم .

ثم التمست منهم ان ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل المقررات فاجابني العلامة المصري ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أتم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك فحينئذ اعلنت لهم اني أختير للرئاسة الأستاذ الكبير وأختير نفسي لخدمة الكتابة تفادياً من اتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجام منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض الفاظهم فاظهر الجميع الرضا والتصويب وصرح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكون ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الأستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله عالم السر والنجوى ، الذي جمعنا على توحيده ودينه وأمرنا بالتعاون على التقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شورى بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم « إياك نعبد » لا نخضع لغيرك «وإياك نستعين» لا ننتظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضراً « اهدنا الصراط المستقيم» الذي لاخفيات ولا ثنيات فيه « صراط الذين أنعمت عليهم » بنعمة الهداية إلى هذا التوحيد «غير المغضوب عليهم» بما أشركوا «ولا الضالين» بعد ما اهتدوا سبحانك ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد الفرائي الذي أجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط همتكم ، وتأجيج نار حميتكم ، لأننا كلنا في هذا العناء سواء ولكن أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسألة فأقول .

ان مسألة تقهقر الإسلام بنت الف عام أو أكثر وما حفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الا متانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين في

كل ما أرون إلى أن عندنا بعض الأمم في أسوء ما تكون الثورة المدمرة قريبة منها فشرت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من المسلمين وغيرهم وهم يتسابقون في سبيلهم في أن أستولي الشلل على كل أطراف جسم الممالك الإسلامية وقرب الخطر من قلب أعني (جزيرة العرب) فتنبهت أفكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووفقهم لنيل أجر المجاهدين فهبوا ينشرون المواعظ والتذكرة والمباحث المنذرة فكثر المتنبهون وتحركت الخواطر لكنها حركة متحيرة الوجهة شائعة القوة فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصل إلى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وبتدقيق النظر في النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية

(الأول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديهاً يفيد التأثر ويدعو إلى التدبر على أن ذلك لا يبث إلا بمشية أو ضحاها . (والثاني) بيان أن سبب الخلل النازل . هو الجهل الشامل . بأمر الدين وتضييع ، مع أن المقام يقتضي عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح . (والثالث) إنذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها انذاراً هائلا تطير منه النفوس مع أن الحالة الواقع لا تفي فيه النذر . (والرابع) توجيه اللوم والتبعة على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتقاعدهم عن استعمال قوة الاتفاق على النهضة مع أن الاتفاق وهم متشاكسون متعذر لا متعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أوان استنفارها وذلك لا يتم إذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً سياسياً نابحث أولا عن مراكز المرض ثم جراثيمه ليتعين بعد ذلك الدواء الشافي الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتنقيب ثانيا عن تدبير إدخاله في جسم الأمة بحكمة تصرع مناد والوهم ، وتتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم اطلعت أيها السادة تستحسنون الاكتتام الذي اختاره أكثر هؤلاء الكتاب الأفاضل لأن لذلك محسنات بل موجبات شئ ينبغي أن تستعملها جمعيتنا أيضاً فلنحرص كلنا على الاكتتام لأن من موجباته اللزامية لكل منا نشر النصح أعني القول الصريح في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياء المريض مهلكة وكتم الأمر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياء في الدين .

ومن موجبات الاكتتام أيضاً أن كل ما يخالج الفكر في موضوع مسألتنا معروف عند الأكثرين ولكن بصورة مشتتة والناس فيه على أقسام فصنف العلماء إما جبناء يهابون

الخوض فيه وأما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم وأهواءهم وباقى الناس يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة القائل ارعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأهمى للاجماع . .

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن نترك جانباً اختلاف المذاهب التى نحن متبعوها تقليداً فلا نعرف مأخذ كثير من أحكامها وأن نعتمد مانعلم من الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا نتفرق فى الآراء وليكون مانقرره مقبولا عند جميع أهل القبلة إذ أن مذهب السلف هو الأصل الذى لايرد ولاتستنكف الأمة أن ترجع إليه وتجتمع عليه فى بعض أمهات المسائل لأن فى ذلك التساوى بين المذاهب فلا يثقل على أحد نبذ تقليد أحد الأئمة فى مسألة تخالف المتبادر من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة فى مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأى على البعض منكم فما هو برأى حادث بين المسلمين بل جميع أهل جزيرة العرب ماعدا اخلاط الحرمين على هذا الرأى ولا يخفى عليكم أن أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين إلى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الحنابلة أو الزيدية أو الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهله وحملته وحافظوه وحماته وقلما خالطوا الاغيار أو وجدت فيهم دواعى الغرباء والتفنن فى الدين لأجل الفخار ولا يظن من على البعض منكم أيضاً أنه كيف يسوغ لأحدنا أن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد ويترك تقليد من يعرف أنه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر إحاطة واحتياطاً .

ولا أظن أن فينا من ليس فى نفسه إشكال عظيم فى تحرى من هو الاعظم من بين الأئمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة بينهم مابين نفى وإثبات حتى فى كثير من الأمور التعبدية الفعلية التى مأخذها المشاهدة المتكررة ألوف مرات مثل هل كان النبى عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يقنتون فى الوتر أم فى الصبح وهل كان المؤتمرون يقرأون أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدى عند تكبيرات الانتقال أم لايرفعون وهل يعقدون الأيدى أم يرسلونها . فاذا كان الأئمة والعلماء الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف فى تحقيق كيفية عبادة فعلية هى عماد الدين أعنى الصلاة التى هى من المشهودات المتكررات وتؤدى بالجموع والجماهير فكيف يكون شأنهم فى الأحكام التى تستند إلى قول أو فعل أو سكوت صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو أفراد .

فعلى هذا لا أرى من مانع أن نترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلق بالبعض القليل من الأصول ونجتمع على الرجوع إلى مانفهمه من النصوص أو ما يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السلف وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا الاتفاق على تقرير مانقرره ويقوى الأمل فى قبول الأمة منا ماندعوها إليه .

وإنى أسلفكم أيها السادات أنه ينبغى أن لايهولنا مانبسط فى جمعيتنا من تفاقم أسباب الضعف والفتور كيلا نيأس من روح الله وأن لانتوهم الإصابة فى قول من قال إننا أمة ميتة فلا ترجى حياتنا كما لا اصابة فى قول من قال إذا نزل الضعف فى دولة أو أمة لايرتفع فهذه الرومان واليونان والأمريكان والطليان واليابان وغيرها كلها أمم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة السياسية بل ليس بيننا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة فرق سوى فى العلم والأخلاق العالية على أن مدة حضانة العلم عشرون عاماً فقط ومدة حضانة الأخلاق أربعون سنة . فعلينا أن نثق بعناية الله الذى لايبيد سواه وبهذا الدين المبين الذى نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الالهى ديناً حنيفاً متيناً محكماً مكيناً لايفصله ولايقاربه دين من الأديان فى الحكمة والنظام ورسوخ البنيان

ثم أيقنوا أيها الاخوان أن الأمر ميسور وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار مبشرة بأن الزمان قد استدار ونشأ فى الاسلام أنجاب أحرار وحكماء أبرار يعدُّ واحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن تخرق طبل حزب الشيطان وتسترعى سمع الأمة مهما كانت فى رقاد عميق وتقودها إلى النشاط وإن كانت فى فتور مستحكم عتيق على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً إذا وفقها الله تعالى بعنايته لتأسيس جمعية قانونية منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلا يفنى بما لايفنى به عمر الواحد الفرد وتأتى بأعمالها كلها بعزائم صادقة لايفسدها التردد وهذا هو سر ماورد فى الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتى بالعجائب وهذا هو سر نشأة الأمم الغربية وهذا سر النجاح فى كل الأعمال المهمة لأن سنة الله فى خلقه ان كل أمر كليا كان أو جزئيا لايحصل إلا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة فى زمان طويل يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما إذا حصل بمزيد قوة فى زمان قصير وكلنا يعلم أن مسألتنا أعظم من أن يفى بها عمر إنسان ينقطع أو مسلك سلطان لايطرد أو قوة

عصبية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتفور سريعاً

وإذا تفكرنا أن مبدأ اعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم تتزايد حتى تكمل وتتقلب اشكالا حتى ترسخ فعلى هذا لا يبعد أن يتم لنا انعقاد جمعية منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها. ولا ينبغى الاسترسال مع الوهم إلى أن الجمعيات معرضة فى شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولا سيما إذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب (الاكاديميات) أى المجامع العلمية تحت حماية رسمية بل الاليق بالحكمة والحزم الاقدام والثبات وتوقع الخير إلى أن يتم المطلوب .

هذا وإن شرقنا مشرق العظائم والزمان أبو العجائب وما على الله بعزيز ان يتم لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهورى إذا نادى مؤذنها حى على الفلاح فى رأس الرجاء يبلغ أقصى الصين صداه .

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من وهدة الجهالة وترقى بها فى معارج المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .

ولنبدأ الآن بتشخيص داء الفتور المستولى على الأمة تشخيصاً سياسياً مدققاً فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ليبين رأيه وما يفتح الله به عليه فى اجتماعاتنا التى نواليها كل يوم ماعدا يومى الثلاثاء والجمعة من بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبيل الظهر أعنى إلى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذاكرات التى جرت فى الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات

وانى أختم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التى تدور عليها جمعيتنا وينبغى لكل منا ان يفكر فيها ويدرسها وهى عشر مسائل .

(١) موضع الداء (٢) اعراض الداء (٣) جراثيم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهى وسائل استعمال الدواء (٦) ما هى الاسلامية (٧) كيف يكون التدين بالاسلامية (٨) ما هو الشرك الخفى (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية

ولما انتهى خطاب الرئيس وانتهت الجلسة قال السيد الفراتى . أرى أن يفيد كل منا هذه المسائل العشر فى جانب من ورقة التراجم لاجل التذكرة ففعلوا . ثم دعاهم إلى الطعام فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبار المهتدين فى ليفربول من السعيد الانكليزى. وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاى والقهوة والشراب المثلوج فاختار كل ما ألف وأحب ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى مجيبين دعوة خير الدعاة ، اذ كان قد دنا وقت الصلاة.